

الفصل الخامس

مصر حاضرة

لا يتخيل المصريون كم هم حاضرون ومؤثرون في الحياة اليومية الماليزية، بالرغم من المسافة بين البلدين؛ -إذ سبق توقيت ماليزيا توقيت القاهرة بست ساعات- ومع ذلك فالحضور المصري لا تخطؤه العين ولا يمكن تجاوزه أو تجاهله، والعديد من القادة والمسؤولين الماليزيين درسوا في الأزهر الشريف ويكونون مشاعر حب واحترام شديدين للعرب وللمصريين، فالعرب هم أساس الإسلام، والأزهر هو المنهل الذي يستقون منه علوم دينهم، ويعتزون بزياراتهم للمنطقة العربية ولمصر، حتى إن مقدمة خطبة الجمعة في كوالالامبور هي نفسها في مساجد الأوقاف بالقاهرة، وكذلك الدعاء الختامي، فالمنبع واحد، إلا أن الاختلاف أن الخطيب يدعو في نهاية الخطبة أن يكرم الله سلطان الولاية وجلالة الملك ويسميها باسمهما، كما أن جسم الخطبة نفسه بلغة الملايو، ومع ذلك فموضوع الخطبة من السهل لأي عربي أن يدركه بسهولة لأن الآيات والأحاديث تُتلى باللغة العربية، فمصر يدرس فيها سنويًا ١١ ألف طالب ماليزي بعضهم يدرس في الأزهر وبعضهم في كليات الطب بالجامعات المختلفة.

وقد سمعت درسًا في إذاعة المسجد قبيل صلاة الجمعة -فمن عاداتهم التبكير لصلاة الجمعة-، ولا أدري إن كان يأتي عبر الاذاعة الدينية أم يليقه شيخ المسجد ولم أتبين من الكلام إلا كلمة «يوسف القرضاوي» واسم كتاب مذكراته «ابن القرية والكتاب».

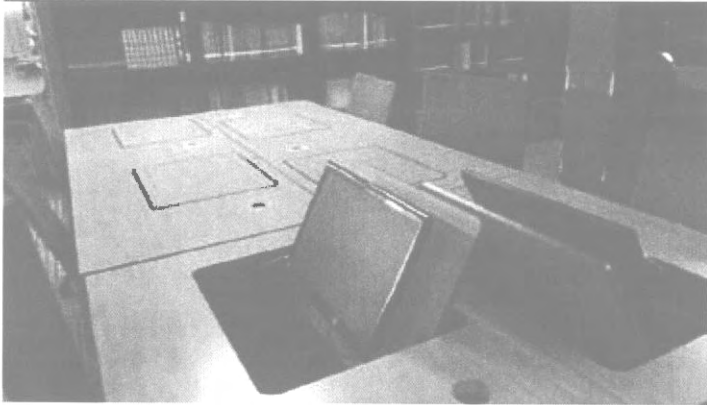
وخلال جولتي على المدارس زرت مدرسة داخلية في منطقة ريفية نائية وسط الحقول، لم أجد فيها من يعرف العربية إلا المدير ومساعدته، وهذا الأخير كان يفهم العربية بصعوبة شديدة، والطلبة لا يعرفون العربية ولا الانجليزية وبعضهم حتى لا يعرف الملاوية لأنهم أجانب، وفي نهاية جولتي توجهت للطلبة كي أصافحهم قبل الانصراف وبينما أمد يدي لأصافح آخر مجموعة من الطلبة إذا بطالب يحدثني بلهجة مصرية أصيلة، ففرحت به وعانقته فقال لي إنه تايلاندي ولكنه قضى ١١ عامًا في مصر من مجموع عمره البالغ ١٥ عامًا، يعني تقريبًا هذه هي لغته الأم.

وطلب مني أحد الأساتذة أن أزور معهدًا إسلاميًا اصطحبني إليه بنفسه، في مدينة اسمها «كلانج»، من أكثر المعاهد تميزًا على مستوى الدولة، والمعهد يبدأ من مرحلة الابتدائي مرورًا بالثانوي وصولاً إلى شهادة الدبلوم، ويتبع نظامًا صارمًا فلا

خروج ولا موبايل ولا أجازات إلا ٤ مرات في السنة، وتحسب درجات السلوك ضمن درجات المجموع؛ فقد تزيد درجات الطالب لمواظبته على الصف الأول مثلاً، وتخصم منه درجات بسبب أنه لم يصم الاثنين والخميس، ويكافأ الطلبة المتميزون بالسماح لهم بالاعتكاف بمسجد خارجي في رمضان.

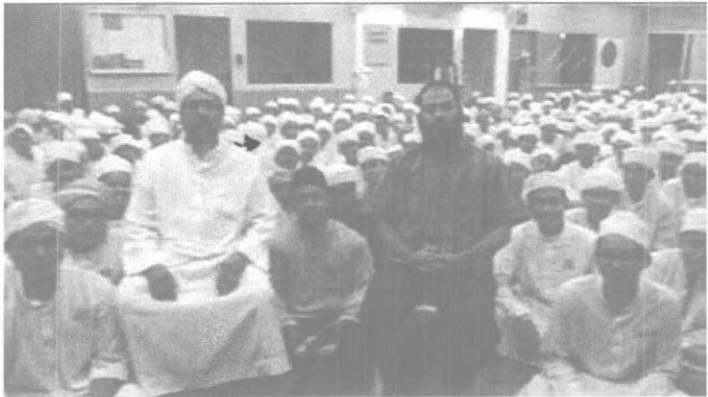
وإذ بصاحب المعهد ومديره خريج كلية القرآن والقراءات بطنطا، وقد قضى بمصر ١١ عاماً في الدراسة، هي أكثر من ثلث عمره، وكان يتحدث العامية المصرية بشكل مكسر وطريف، وأكد لي أنه سيعود إلى مصر لمواصلة الدراسة.

والمعهد أنيق، وبه أجهزة عرض «data show»، ومكتبة كبيرة بها كتب كثيرة من مصر.



مكتبة معهد كلانج

وتصادفت زيارتي للمعهد مع زيارة إمام المسجد النبوي،
 عماد زهير حافظ، ولكنني لم أقابله لأنني كنت في عجلة من
 أمري، وبعد صلاة العصر طلب مني مدير المعهد أن أجلس
 على كرسي في المسجد وأعطي كلمة تشجيعية للطلبة عن
 فضل القرآن باللغة العربية، ففعلت، فطلب مني الكلام ببطء
 والوقوف بعد كل جملة كي أفسح له المجال ليترجم لهم.



في معهد كلانج

أنت هنا كالمملك

كنت كلما زرت مكاناً جاء إلي العرب والمصريين الموجودين فيه ليرحبوا بوجودي، فسرعان ما ينتشر في المكان خبر زيارتي، فهم يتناقلون الأخبار بسرعة حتى إنهم يقولون على سبيل الفكاهة أن بلدهم لا تحتاج لجهاز مخابرات فالمعلومات كلها يعرفها الجميع!! وإن لم يتيسر لقائي بالمصريين الموجودين بالولاية لبعد أماكنهم مثلاً أخبرني الماليزيون عنهم وعن أماكنهم وأعطوني أرقام هواتف بعضهم.

وأثناء زيارتي لمدرسة الطلبة المتفوقين في ولاية سيلانجور قرب العاصمة، وبينما كنت أقف وحدي أطل من شرفة أحد الأدوار العليا بالمدرسة، جاءتني طالبة داكنة اللون وسألتني بلهجة مصرية مكسرة

- من أين أنت يا أستاذ؟

-خمني

- من مصر؟

-كيف عرفتني؟

- أنا أمي مصرية

-الدم بيحن

- نورت ماليزيا يا أستاذ... أنا أبي ماليزي لكن أمي مصرية وأنا أحب المصريين

- يعني تعتبري نفسك مصرية ولا ماليزية؟

- (بابتسامة خجولة) ماليزية.. لأنني لم أعش في مصر وليس لي أصدقاء هناك وحكت لي أنها ترى في المصريين شجاعة وحيوية وخفة روح تجعل منهم شخصيات جذابة ونطقت بجملة لا أنساها فقالت: «أنت هنا كالملك» - أي باعتباري مصرياً- بسبب الحفاوة التي يلقاها المصريون هنا.

حبيبي يا نور العين

وينظر الملايو للمصريين وللعرب عمومًا نظرة إيجابية ويتخذونهم قدوة لهم باعتبارهم أهل الإسلام ولغة القرآن ومنهم يتعلمون الدين عن طريق الأزهر والجماعات الدعوية، ويفترضون أن الأصل في تصرفات العرب أنها موافقة للشريعة، فعندما يشاهدون مشاهد العري والإباحية في الفضائيات المصرية يظنون أن الممثلين ليسوا من المصريين المسلمين أصحاب تلك الصورة الذهنية الجميلة في عقولهم، لدرجة أن أغنية عمرو دياب «حبيبي يا نور العين» انتشرت بينهم على أنها أغنية دينية قيلت في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، كأنه يقول «حبيبي يا رسول الله»!

فأغلب المتدينين منهم لا يعتقدون بحرمة الموسيقى فقد كنت راكباً في سيارة مع طالبي علم بإحدى المدارس الدينية أحدهما ترك كلية الهندسة ليتفرغ لدراسة العلوم الشرعية وتدريسها، ووجدتهما يفتحان راديو السيارة على الموسيقى فسألتهما عن ذلك، فقالا إن الأمر فيه خلاف واستشهدا بفتوى الشيخ المصري، يوسف القرضاوي، التي أحل فيها سماع الموسيقى^{١٩}.

والقرضاوي عندما ينزل ماليزيا يلتقي به رئيس الحكومة وقادة المعارضة الإسلامية على السواء، فهو يعتبر شخصية عليها إجماع من كل الأطراف، ويستقبل استقبال الزعماء في حين أنه لو زار بلده مصر لاستقبله عشاوي^{٢٠}، وهم ينظرون لحسن البناء مؤسس جماعة الإخوان المسلمين نظرة إكبار وتقدير شديدين، ومن المعتاد أن تجد كتباً له في المكتبات والمساجد الماليزية.

١٩ الأمانة العلمية فإن الشيخ القرضاوي لم يفت بإباحة الموسيقى بشكل مطلق، وللعلامة المحدث ناصر الدين الألباني بحث شهير باسم «تحريم آلات الطرب» يناقش فيه فتوى القرضاوي بشكل تفصيلي، ويورد فيه آراء العلماء في الموسيقى عبر التاريخ وينقل الإجماع على تحريمها.

٢٠ صادر بحقه حكم بالإعدام شنقاً في مصر



كتاب الماثورات لحسن البنا في أحد المساجد

نعود للموسيقى، وهى السبب الذي جعل المطرب العالمي، ماهر زين، له شعبية كبيرة بين الشباب الماليزي، ولعل بداية شهرته حول العالم، كانت بسبب الماليزيين كما يحكي هو عن نفسه في أحد لقاءاته، عندما نشر له شباب ماليزيا أغنية على «اليوتيوب» فذاعت الأغنية بشكل أذهله من قوة انتشارها.

وفي لقائي مع الأستاذ زكى عبدالرحمن، واضع خطة تدريس العربية والمواد الدينية، ونائب مدير المؤسسة الإسلامية الكلتنية التي يتبعها أكثر من ٩٠ معهد تحفيظ ومدرسة ورياض أطفال في ولايات مختلفة، بين لي أن كل مدارس تدرس مناهج الأزهر أو وهو شرط لكي يقبل الأزهر خريجي هذه المدارس لاستكمال الدراسة به، وشكا من أن الكتب تكون صعبة القراءة بسبب رداءة الطباعة وحجم الخط أو فيحاول المدرسون أن يضعوا

مختصرات وملخصات لهذه الكتب كي يسهلوا المهمة على الطلبة وأعرب لي عن رغبته بإيجاد طرق جديدة لتدريس العربية بشكل أسهل.

وشكا من أنه نتيجة تنوع البلاد التي يدرس بها الطلبة الماليزيون فإنهم يحملون معهم الخلافات العقدية من هذه الدول فمن يدرس بالسعودية المنهج السلفي يتهم من يدرس المنهج الأشعري بمصر بأنه مبتدع، ومن يدرس المنهج الأشعري بمصر يصف الدارسين بالسعودية بأنهم وهابيون أمتنمياً إيجاد طريقة لتلافي الوقوع في هذه الاختلافات العقدية.

ودائماً بعد صلاة الجماعة في أى مسجد يجلس الإمام في مواجهة المأمومين ليقرأوا الفاتحة !!! ثم يدعو وهم يؤمنون على دعائه رافعين أيديهم.

وفي كل مسجد يوجد مكان عند مصلى النساء تعلق فيه بعض إسدالات الصلاة، وعند الرجال يوجد الـ «سارونج» وهو إزار واسع جداً يلفه المصلي حول وسطه حتى يصبح على مقاسه وبعد الصلاة يعيده إلى مكانه^{٢١}، ويحرص الكثير من الرجال والشباب على ارتداء «الطاقية» كمظهر إسلامي.

٢١ وهناك سارونج نسائي ورجالي، وكان هذا زيهم قديماً، فرمما كان الرجل يرتدي السارونج (الإزار) فقط ولا يلبس شيئاً على نصفه العلوي بسبب المناخ الحار الاستوائي

فلسطين في القلب

وتحتل القضية الفلسطينية اهتمامًا كبيرًا لدى الشعب الماليزي، فعند اشتعال الوضع في غزة يتدفق الشعب ويظهر مهاتير في التلفاز على رأس حملة لإغاثة شعب غزة المحاصر، مع أن مسلمي ميانمار (بورما سابقًا) القريبة لا يلقون مثل هذا الاهتمام برغم أن ما يحدث لهم من مجازر ومآسي أضعاف أضعاف ما يحدث بفلسطين.



هاشتاج «غزة» وعلم فلسطين على جدران الشوارع في العاصمة كوالالامبور

وهناك حدث سنوي تنظمة العديد من الجمعيات للتنديد بما يحصل للفلسطينيين، وتتوافد الحشود من أرجاء الولايات الماليزية، إلى مدينة شاه علم بولاية سيلانجور بالساحة القريبة من مسجد الولاية «المسجد الأزرق»، ويشارك في هذا الحدث الآف الجماهير القادمة من مختلف الولايات، حيث يتم التحميم في ذلك اليوم إلى وقت متأخر، ويقومون بالعديد من الفعاليات التي تشرح معاناة الفلسطينيين، وتشارك كبار الشخصيات في هذا البرنامج بالخطابات التي تذكروهم ببيت المقدس.

وقد سئلت مرارًا من الكبار والصغار كيف يترك المصريون غزة تُحاصر وتُضرب وهي على حدودهم؟ فقلت لهم: هذه بورما قريبة منكم ومسلمي جنوب تايلاند جزء منكم ومع ذلك لا تتدخل ماليزيا لحمايتهم، فالمشكلة عامة تكمن في ضعف المسلمين وتفككهم، وليست خاصة بقطر دون آخر.